أخرجوهم من قريتكم !

أ. عدنان

{ ... **أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** } [الأعراف : ٨٢]

قالها قوم لنبيهم لوط عليه السلام حين دعاهم إلى الإيمان والإقلاع عن الكفر والرذيلة والسفه ، وإلى التخلق بالعفة والرشد والطهارة . ففي موازينهم المنكوسة تعتبر العفة والطهارة جريمة يستحق مقترفها التشريد والنفي من الأرض ، أما البقاء والاستقرار فيكون للملوثين والشاذين ، لينعموا بهدوء البال والراحة ممن نغص عليهم متعهم المحرمة .

وبذلك وقعت عليهم العقوبة الإلهية أن نُكِّست قريتهم وجُعل عاليها سافلها ، عقوبة تتناسب مع موازينهم المقلوبة التي حادت عن الناموس الإلهي ، نسأل الله العافية .

وقد شهد عليهم رب العزة تبارك وتعالى ، فأثبت مقولتهم في محكم كتابه ، وجعلها آية نقرؤها ونتعبد بها إلى أن يرث الله

الأرض ومن عليها .

وبهذا ندرك أن التاريخ يعيد نفسه ، ففي كل وقت تختل فيه الموازين ، وتتخبط فيه المعايير ، يتعرض دعاة الاستقامة والطهر للتسفيه والتشهير ، ونعتهم بالظلاميين والمتحجرين ، وتكون عقوبتهم ، التضييق عليهم ، وتعويقهم عن احتلال أماكنهم الطبيعية في مجتمعاتهم ، والسجن والتشريد وربما القتل .

هذا في الوقت الذي يُشجَّع الانحلالُ والتفلتُ عن طريق كل بوق إعلامي مرئي ومسموع ومقروء ، ويسبل على المنغمسين في الانحراف أوصاف التنور والحكمة و... فيحوزون على الجوائز وعلى المكانة المرموقة والاحترام . وذلك تقديراً لجهودهم وفنهم !

ولعل أصحاب هذه الأبواق وجدوا ضالتهم في المرأة ، وذلك لترويج ضلالاتهم ودعواتهم المزوقة . ففي الإعلانات المرئية لا نكاد نرى إعلاناً واحداً يخلو من امرأة دُرِّبت على أنواع الفنون في إثارة الفتن ، ومن قاطع هذا النوع من الإعلام فإنه لن ينجو في الشوارع من رؤية صورٍ لإعلانات تجارية من

كافة الأنواع ، استُخدِمت فيها المرأة في أوضاع وأشكال لا حصر لها ، إلا أنها اشتركت جميعها بالهدف والغاية وهو إثارة الأهواء والشهوات ، مما يجعل المستقيم يحار أين يجول ببصره ، لأنه لن يفلت من أكثر هذه المعروضات .. ومما يجعل العفيفة تشيح ببصرها ، وتعدل بعفوية من ثيابها وكأنها بذلك تريد أن تستر صاحبة اللوحة ، وهي تقول لها في نفسها : " ويحك لقد فضحت النساء " .

فهي تشعر أن في هذه اللوحات إهانة موجهة لها وطعنة في الصميم ، وجُرْحاً لكرامتها وعفتها ، فتردد قول الشاعر :

أتراكِ قد أبصرتِ ما آلت إليه بدع النساء غواية وضـــلالاً
ورأيت أخلاقَ الحسان تبدلت فغدا الحرام متى رغبن حـلالاً
وغـدا الحيــاءُ عدوَّهن تبـذلاً فـازددن منقصـة وزدن خبـالاً

وكذلك صناعة الأفلام والتمثيليات - والتي يعلن عنها أنها تؤدي رسالة لمعالجة المجتمع ..! - فهي لا تخلو من هذه التجارات الرخيصة ، وكالعادة تحظى فيها المرأة بالحظ الأوفر لعرض الفتن والمحرمات وتُبرز المرأة - في كثير من الأوقات - محبة للمال والجاه والحصول عليه بأية طريقة ،

ثرثارةً لا هدف لها في حياتها سوى إضاعة الوقت ، ولا بد من الاعتراف أن هذه الأصناف من النساء موجودة ، ولكن الإشكال أن هذه المعضلة تترك بلا علاج ، وكأنها أمر مسلم به وطبيعي ، أو تنتهي بهلاك صاحبتها .

وتتعمد وسائل الإعلام إظهار المرأة المسلمة في صورة بعيدة كل البعد عن حقيقتها وواقعها . فالمرأة الملتزمة بدينها لا وجود لها إطلاقاً ، فجميع المثقفات والفاعلات في المجتمع والحضاريات نساء متبرجات وكاسيات عاريات .

أما الهامشيات والساذجات فكثيراً ما نراهن وقد وضعن على رؤوسهن قطعة من القماش بشكل مضحك ويدعو إلى السخرية ، مما يلقي في الروع أن المرأة المحجبة تمثل الوسط المتخلف من المجتمع والمتدنِّي حضارة وذكاءً وثقافة .

وكم كان قبيحاً أن تظهر امرأة محجبة بحجابها الكامل وقد وضعت على رأسها " برنيطة " عريضة الإطار لتغيظ صويحباتها بأناقتها وجمالها !

وكأن المرأة المحجبة تشكو من آفات اجتماعية وأخلاقية منفرة وتشعر بعقدة النقص وانفصام في شخصيتها !!

وكم في عرض مثل هذه الصور من كذب وبهتان وافتراء ، لأنه يكفي المرء نظرة سريعة فاحصة بين الجامعيات والحاصلات على أعلى الشهادات ليجد ارتفاع نسبة الملتزمات والمحجبات بينهن ، والتي ما تزال في ازدياد مستمر والحمد لله .

هذه المعاني تجول في خاطري - وهي ليست جديدة على أحد - أحببت أن أسجلها لأذكّر أختي المسلمة وأدعوها لليقظة ..

وأقول لها : احذري أن تستجيبي للدعوات الهابطة ، فلا ترضي لنفسك أن تكوني سلعة رخيصة ، وأن يضرب عليك الرق من قبل تلاميذ حكماء صهيون " النجباء " ! فاصرخي في وجوههم ، وردي عليهم رشاواهم واجعليها نبالاً تفقأ أعينهم ..

إنهم لن يتمكنوا منك أبداً ما تمسكت بحبل الله المتين ..

لا تؤخذي بكلامهم المزخرف وإغراءاتهم الجذابة فينطبق عليك قول

القائل :

خدعوها بقولهم حسناء والصبايا يغرُّهنَّ الثناء

فيا ابنة حواء .. وكم يشرفك هذا النداء .

فأنت آسية ومريم وخديجة ..

وأنت فاطمة .. فاطمة بنت رسول الله ﷺ

وفاطمة .. أخت الفاروق رضي الله عنه

وفاطمة .. أم علي رضي الله عنه

ولا نريد أن نبتعد عن عصرنا كثيراً .. ففي زماننا من بنات حواء قدوات وأمثلة ناصعة .

فأنت زينب الغزالي المجاهدة الصابرة

وأنت أم أيمن بنان الطنطاوي الشهيدة المشردة المحتسبة

وأنت الأم الفلسطينية التي لم يمنعها تفانيها في حب أبنائها وفداؤها لهم بروحها أن تجعلهم متاريس في وجوه الصهاينة المدججين بأسلحتهم الفتاكة .. الأم الفلسطينية التي ربت أبناءها على حب الجهاد ورفض الذل والخنوع .

أختاه .. فأنت أم محمد الدرة التي امتلأت ثباتاً ورضى ..

ابنة حواء يا أختاه .. لا تحقري نفسك ومكانتك عند الله ، فأنت الأم والأخت والابنة والزوجة ، والآمال العظيمة منعقدة على مقدار عظمة وفائك لرسالتك .

فكوني المرأة التي إذا هزت سرير طفلها بيمينها تهز العالم بشمالها .. ولن يعوقك عفافك وطهرك عن الوصول إلى الدرجات العليا ، فها هي عائشة التيمورية تفتخر بحجابها وعفتها فتقول :

بيد العفاف أصون عِزَّ حجابـي وبعصمتي أسمو على أترابي

ما عاقني حَجَلي عن العليا ولا سـدْل الخمار بلمتي ونقابـــي